بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة صلاة الجمعة للشيخ بلال سلمان

الإسراء والأزمة

الحَمدُ لله، الحَمدُ للهِ ثُمَّ الحَمدُ لله، الحَمدُ للهِ الذِي هَدَانَا لِهَذَا، وَمَا كُنَّا لِنَهتَدِيَ لَولَا أَن هَدَانَا الله، وَمَا تَوفِيقِي إِلا بِالله، وَمَا تَوَكُّلِي وَلا اعتِمَادِيَ إِلا عَلَى الله، وَأَشهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَه، وَأَشهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً عَبدُهُ وَرَسُولُه وَصَفِيُّهُ وَخَلِيلُه، خَيرُ نَبِيٍّ اجتَبَاهُ وَرَحمَةً لِلعَالَمِينَ أَرسَلَه. اللهُمَّ صَلِّ وَسَلِّم وَبَارِك عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّد، وَعَلَى آلِهِ وَأَصحَابِهِ أَجمَعِين، وَمَن تَبِعَهُم بِإِحسَانٍ إِلَى يَومِ الدِّين.

قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿سُبْحَانَ الذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير﴾ [الإسراء: ١] وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((لَقِيتُ لَيلَةَ أُسرِيَ بِي إِبرَاهِيم عليه السلام، فَقَالَ لِي: يَا مُحَمَّد، أَقرِئ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَام، وَأَخبِرهُم أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّربَة، عَذْبَةُ الْمَاء، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ -يَعنِي مُستَوِيَة، تُمْسِكُ الْمَاءَ وَتُنْبِتُ العُشْب- وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبحَانَ اللهِ وَالحَمدُ للهِ وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ وَاللهُ أَكبَر)) [أخرجه الترمذي] وَقَالَ النَّبِيُّ عليه السلام: ((يُؤتَى بِالرَّجُلِ يَومَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّار، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِه، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ فِي الرَّحَى، فَيَجتَمِعُ إِلَيهِ أَهلُ النَّار، فَيَقُولُون: يَا فُلانُ مَا لَك؟ أَلَم تَكُن تَأمُرُ بِالْمَعرُوفِ وَتَنهَى عَن الْمُنكَر؟ فَيَقُولُ: بَلَى، كُنتُ آمُرُ بِالْمَعرُوفِ وَلا آتِيه، وَأَنْهَى عَن الْمُنكَرِ وَآتِيه)) [أخرجه مسلم].

تَمُرُّ ذِكرَى مُعجِزَة الإِسرَاءِ وَالْمِعرَاج علينا، وَلَكِنَّ الكَثِيرَ مِنَ الْمُسلِمِينَ لَم يَشعُروا بِها، وَلَم يَقرَؤوا مَا فِيهَا مِن العِبَرِ وَالدُّرُوسِ التي يُمكِنُ أَن نَستَفِيدَ مِنهَا فِي أَزمَتِنَا وَشِدَّتِنَا، وَالنَّاظِرُ لِأَحدَاثِ هَذِهِ الْمُعجِزَةِ يَجِدُ أَنَّ فِيهَا الكَثِيرَ مِنَ التَّشَابُهِ مَعَ مَا نَحنُ فِيهِ الآن.

لَقَد مَضَت عَشرُ سَنَوَاتٍ قَاسِيَاتٍ مِن زَمَنِ الدَّعوَةِ الإِسلَامِيَّة، عَانَى فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَهلُهُ وَأَصحَابُهُ الكَثِيرَ مِنَ الوَيلات، وَلاقَوا أَنوَاعَ الآلامِ وَأَصنَافَ الكُرَبِ وَأَشكَالَ البَلَاء، فَمِن تَكذِيبِ عَمِّهِ لَهُ وَعَشِيرَتِهِ

حِينَ قَالَ لَه: (تَبًّا لَكَ أَلِهَذَا جَمَعتَنَا)، وَمِن نَشرِ الشَّائِعَاتِ وَتَروِيجِ الكَذِبِ وَالإِفك، فَحِينَاً يَقُولُونَ عنه: سَاحِر، وَحِينَاً يَقُولُونَ عنه: شَاعِر، وَحِينَاً يَقُولُونَ عنه: مَجنُون، وَحِينَاً يَقُولُونَ عنه: يَأتِيهِ رَئِيٌّ مِنَ الجِن.

وَتبدَأُ قُرَيشٌ سِيَاسَةَ التَّعذِيبِ وَالتَّجوِيعِ وَالتَّهجِيرِ وَالقَتل، فَيُلقَى بِلَالٌ ﷺ عَلَى الرِّمَالِ الحَارَّةِ فِي الصَّحرَاء، وَيُعَلَّقُ الزُّبَيرُ بنُ العَوَّامِ ﷺ فِي حَصِيرٍ وَيُدَخَّنُ عَلَيهِ لِيَرجِعَ إِلَى الكُفر، وَتَضَعُ أُمُّ أَنمَارٍ الحَدِيدَةَ الْمُحَمَّاةَ عَلَى ظَهرِ خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ ﷺ حَتَّى تَبرُدَ بِشَحمِ ظَهرِه، حَتَّى صَارَ فِي ظَهرِهِ مِثلُ الأَخَادِيد، وَيَمُوتُ يَاسِرٌ وَسُمَيَّةُ وَثُوَيبَةُ وَغَيرُهُم ﷺ تَحتَ التَّعذِيب.

ويقول اللهُ عَزَّ وَجَل في هذه الأهوال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيب﴾ [البقرة: ٢١٤] وَيَبدَأُ الحِصَارُ الظَّالِمُ فِي شِعبِ أَبِي طَالِب: حِصَارٌ عَلَى جَمِيعِ الْمُسلِمِينَ فِي مَكَّة ، لا يُبَاعُ لَهُم شَيء، وَلا يُشتَرَى مِنهُم شَيء، وَلا يُزَوَّجُوا وَلا يَتَزَوَّجُ مِنهُم أَحَد، وَحَرَامٌ عَلَى أَحَدٍ إِمدَادُهُم أَو مَعُونَتُهُم، قَالَ اللهُ سُبحَانَه: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الذِينَ أَشْرَكُوا أَذَىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُور﴾ [آل عمران: ١٨٦].

ثَلَاثُ سَنَوَاتٍ مَضَت وَالْمُسلِمُونَ مُحَاصَرُونَ فِي الشِّعب، يَعصِرُهُمُ الجُوعُ عَصرَاً، وَيَعلُو بُكَاءُ الأَطفَالِ حَتَّى يُسمَعُ مِن وَرَاءِ الشِّعب، وَيَمُوتُ قَومٌ مِنَ الْمُسلِمِينَ جُوعَاً وَعَطَشَاً، وَيُهَاجِرُ بَعضُ الصَّحَابَةِ مِن مَكَّةَ مُكرَهِينَ إِلَى الحَبَشَة، لِيَنجُوا بِأَنفُسِهِم وَأَهلِيهِم، إِنَّهَا صُنُوفُ الآلامِ وَأَنوَاعُ البَلَايَا تَتَوَالَى تَترَى عَلَى النَّبِيِّ عليه السلام وَصَحَابَتِهِ ﷺ، وَلَيسَ يَجِدُ مِن مُعِينٍ بَعدَ اللهِ غَيرَ الجَمَاعَةِ الْمُؤمِنَةِ الْمُستَضعَفَة، ثُمَّ زَوجَتِهِ خَدِيجَةَ وَعَمِّهِ أَبِي طَالِب، فَلَمَّا كَانَت السَّنَةُ العَاشِرَةُ لِلبِعثَة، مَاتَت خَدِيجَةُ ﷺ، ثُمَّ مَاتَ أَبُو طَالِب، وَنَالَت قُرَيشٌ مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا نَالَت.

يَبدُو -أَيُّهَا الإِخوَة- أَنَّ السُّنَّةَ الْمَاضِيَةَ فِي هَذِهِ الأَرض، أَنَّ عَلَى أَهلِ الحَقِّ أَن يُوَطِّنُوا أَنفُسَهُم لاستِقبَالِ البَلَاءِ دَائِمَاً، وَأَنْ يُعِدُّوا لِلكَربِ عُدَّتَه، فَهُم وَإِنْ كَانُوا يَألَمُونَ فَعَلَيهِم أَن لا يَيأَسُوا، وَهُم وَإِنْ كَانُوا يَتَوَجَّعُونَ فَعَلَيهِم أَن لا يَتَرَاجَعُوا؛ لِأَنَّهُم يَعلَمُونَ أَنَّ اشتِدَادَ الْمَصَائِبِ إِيذَانٌ بِالفَرَج.

لَقَد مَرَّت عَشرُ سَنَوَاتٍ مُوجِعَاتٍ قَاسِيَات عَلَى رسول الله ﷺ وَصَحَابَتِهِ ﷺ، لِتَأتِيَ بَعدَهَا الْمُكَافَأَةُ الإِلَهِيَّةُ وَالْمُعجِزَةُ الرَّبَّانِيَّةُ وَالعَطِيَّةُ الرَّحمَانِيَّة، إِنَّهَا مُعجِزَةُ الإِسرَاءِ وَالْمِعرَاج، الَتِي جَاءَت تَسلِيَةً لِلنَّبِيِّ عليه السلام بَعدَ

مَصَائِبَ كَثِيرَة، فَقَد أَسرَى اللهُ تَعَالَى بِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ رُوحَاً وَجَسَدَاً مِنَ الْمَسجِدِ الحَرَامِ إِلَى الْمَسجِدِ الأَقصَى، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَوَاتِ العُلَا، وَالتَقَى فِيهَا بِإِخوَانِهِ الأَنبِيَاء، وَأَطلَعَهُ اللهُ عَلَى شَيءٍ مِن عَوَالِمِ الآخِرَة، وَطَمأَنَهُ اللهُ عَلَى مُستَقبَلِ دَعوَتِه، وَفَرَضَ اللهُ الصَّلَاةَ عَلَى الْمُؤمِنِينَ فِي السَّمَاءِ، خَمسُ صَلَوَاتٍ فَرَضَهُنَّ اللهُ فِي اليَومِ وَاللَّيلَة، كُلُّ العِبَادَاتِ فُرِضَت فِي الأَرضِ يَنزِلُ بِهَا جِبرِيلُ عليه السلام، إِلا الصَّلَاة فَإِنَّهَا فُرِضَت فِي السَّمَاء؛ لِأَنَّهَا عِمَادُ الدِّينِ وَمِعرَاجُ الْمُؤمِنِين، فَعَادَ النَّبِيُّ ﷺ مُطمَئِنَّاً قَلبُه، جَدِيدَةً عَزِيمَتُه، مَاضِيَاً فِي رِسَالَتِه، وَاثِقَاً بِأَنَّ العَاقِبَةَ لِلتَّقوَى وَلِلمُتَّقِين، وَالفَوزَ لِأَهلِ الحَقِّ عَلَى الظَّالِمِين.

أيها الإخوة: الفَرَجُ بَعدَ الشِّدَّةِ سُنَّةٌ مَاضِيَةٌ عَلَى مَرِّ الزَّمَان، وَاليُسرُ مَعَ العُسرِ آيَةٌ مُحكَمَةٌ مِن آيِ القُرآن، وَالبَلَايَا مِحَاةُ الخَطَايَا، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاب.

فِي القُرآنِ سُورَةٌ اسمُهَا سُورَةُ الإِسرَاء، وتُسَمَى سُورَةُ بَنِي إِسرَائِيل، نَزَلَت عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي مَكَّةَ بَعدَ حَادِثَةِ الإِسرَاء، أَوَّلُهَا تَسبِيحٌ وَآخِرُهَا حَمدٌ وَتَكبِير، وَكَانَ النَّبِيُّ عليه السلام يَقرَأُهَا فِي كُلِّ لَيلَة:

*نَقرَأُ فِي سُورَةِ الإِسرَاءِ قَولَهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾ [الإسراء: ١٦] يقول المفسرون: الآيَةُ عَلَى ثَلَاثِ مَعَانٍ:

أَمَّا الْمَعنَى الأَوَّل: إِذَا أَرَدنَا أَن نُهلِكَ قَرِيَةً أَمَرنَا مُترَفِيهَا بِالطَّاعَات، فَلَم يَستَجِيبُوا وَعَصَوا وَبَغَوا وَطَغَوا، فَحَقَّ عَلَيهِمُ القَولُ فَدَمَّرنَاهُم تَدمِيراً.

وَأَمَّا الْمَعنَى الثَّانِي: إِذَا أَرَدنَا أَن نُهلِكَ قَرِيَةً أَمَّرنَا مُترَفِيهَا، أي: جَعَلنَاهُم أُمَرَاءَ فِيهَا، فَطَغَوا وَبَغَوا، فَحَقَّ عَلَيهِمُ القَولُ فَدَمَّرنَاهُم تَدمِيراً. قال القرطبي في تفسيره: أَي سَلَّطْنَا شِرَارَهَا فَعَصَوْا فِيهَا، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَهْلَكْنَاهُمْ. وَقَالَ أَبُو عثمان النهدي: جَعَلنَاهُم أُمَرَاءَ مُسَلَّطِين.

وَأَمَّا الْمَعنَى الثَّالِث: إِذَا أَرَدنَا أَن نُهلِكَ قَرِيَةً آمَرنَا مُترَفِيهَا، أَي: كَثَّرنَاهُم فَطَغَوا وَبَغَوا، فَحَقَّ عَلَيهِمُ القَولُ فَدَمَّرنَاهُم تَدمِيراً.

*نَقرَأُ فِي سُورَةِ الإِسرَاءِ قَولَهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ [الإسراء: ٨١] قَالَ الشَّيخُ الشِّعرَاوِيُّ رحمه الله في تفسيره: (هَكَذَا أَطلَقَهَا الحَقُّ سُبحَانَهُ شِعَارَاً مُدَوِّيَاً: ﴿جَاءَ الحَقّ﴾ وَمَا دَامَ اللهُ قَالَ لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقّ﴾ فَلا بُدَّ أَنَّ الحَقَّ قَادِم لا شَكَّ فِيه). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ أَي أَنَّ البَاطِلَ سَرِيعَاً مَا يَذهَبُ وَيَندَثِر، وَمِنَ العَجَبِ أَن تَرَى البَاطِلَ نَفسَهُ مِن جُنُودِ اللهِ؛

لِأَنَّ البَاطِلَ لَو لَم يُؤلِمِ النَّاسَ وَيُزعِجْهُم مَا تَشَوَّقُوا لِلحَقِّ وَمَا مَالُوا إِلَيه، فَإِذَا مَا لَدَغَهُمُ البَاطِل وَاكتَوَوا بِنَارِهِ عَرَفُوا الحَقَّ وَأَهلَه.

نَقرَأُ فِي سُورَةِ الإِسرَاءِ قَولَهُ تَعَالَى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً﴾ [الإسراء: ٨٢] قال ابن كثير: أي أَنَّ القُرآنَ يُذهِبُ مَا فِي القُلُوبِ مِن أَمرَاض، مِن شَكٍّ وَنِفَاقٍ وَشِركٍ وَزَيغٍ وَمَيل، فَالقُرآنُ يَشفِي مِن ذَلِكَ كُلِّه، مِن أَمرَاضِ الظَّاهِرِ وَالبَاطِن، مِن أَمرَاضِ الأَجسَادِ وَالقُلُوب، فَالقُرآنُ شِفَاءٌ وَرَحمَةٌ لِلعِبَاد، وَلَيسَ هَذَا إِلا لِمَن آمَنَ بِاللهِ وَصَدَّقَهُ وَاتَّبَعَه، فَإِنَّهُ يَكُونُ القُرآنُ شِفَاءً فِي حَقِّهِ وَرَحمَة، وَأَمَّا الكَافِرُ الظَّالِمُ لِنَفسِهِ وَلِغَيرِه، فَلَا يَزِيدُهُ سَمَاعُهُ لِلقُرآنِ إِلَا بُعدَاً وَتَكذِيباً وَكُفرَاً. وقال القشيري: القُرآنُ شِفَاءٌ مِن دَاءِ الجَهلِ لِلعُلَمَاء، وَشِفَاءٌ مِن دَاءِ الشِّرْكِ لِلمُؤمِنِين، وَشِفَاءٌ مِن لَوَاعِجِ الشَّوقِ لِلمُحِبِّين، وَشِفَاءٌ مِن دَاءِ الشَّطَطِ لِلمُرِيدِين. وقوله تعالى: ﴿وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً﴾ الخِطَابُ خِطَابٌ وَاحِد، وَالكِتَابُ كِتَابٌ وَاحِد، وَلَكِنَّ هَذَا القُرآن لِقَومٍ رَحمَةٌ وَشِفَاء، وَلِقَومٍ سَخَطٌ وَشَقَاء، قَومٌ أَنَارَ بَصَائِرُهُم بِنُورِ التَّوحِيدِ فَهُو لَهُم شِفَاء، وَقَومٌ أُغشِيَ عَلَى بَصَائِرِهِم بِسَترِ الجُحُودِ وَالكُفرِ فَهُوَ لَهُم شَقَاء.

أيها الإخوة: هَذِه دُرُوسٌ مِن مُعجِزَةِ الإِسرَاء، وَنَحنُ وَإِن كُنَّا نَعِيشُ اليَومَ أَيَّامَ الشَّدَائِدِ وَالْمِحَن، فَإِنَّنَا نَرجُو مِنَ اللهِ تَعَالى، بِصَبْرِنَا وَعَونِنَا لِلخَيرِ وَأَهلِه، وَانضِبَاطِنَا بِالشَّرعِ وَنَهجِه، نَرجُو مِنَحاً مِنَ اللهِ يَجبُرُ بِهَا كَسْرَنَا، وَيُحسِنُ بِهَا مُنقَلَبَنَا، وَيَرزُقَنَا بِهَا سَعَادَةَ الدَّارَين، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالقَادِرُ عَلَيه، أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَستَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُم، وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين.

بتصرف

مديرية أوقاف دمشق